

الخطاب الديني والتأويل

ورقة بحثية في مؤتمر الخطاب والواقع والتأويل 2006

د. عيسى عودة برهومة

قسم اللغة العربية/الجامعة الهاشمية

الأردن

ebarhouma@hotmail.com

مقدمة

خضع الفكر الديني في عصرنا لأهواء الحكام، وتحوّل فيه دور الفقيه من رعاية مصالح الأمة إلى تسويق سلوك الحكام ورعاية مصالح الطبقات المستغلّة المسيطرة. وتحوّل النص إلى سر مقفل يحتاج إلى جهد خارق لكي تفتح مغاليقه ويكشف عن كنوزه وأسراره، وهكذا يكون هذا السر بمنزلة شفرة خاصة (code) لا يطمح الإنسان العادي إلى الاقتراب من حدوده إلا بشق الأنفس. فالنص يتمتع بديمومة لسانية لذلك فنحن نقوم بدراسة الخطاب الديني والتأويل من خلال لعبة الكلمات ولعبة تأويل هذه الكلمات، فالتأويل هو الوجه الآخر للنص، وهو تعدد القراءات لنص واحد، فهذا النص نكتبه بلغة واحدة ويُقرأ بعدة لغات المقصود يتم تأويله غير مرة، فينتج عن هذا نصوص عدة مبتكرة.

وهذه اللغة على اختلاف مادتها هي من نسيج قائلها وصنعه، وهي التي تحدّد نوع هذا الخطاب كما هي التي تحدّد متلقيها، فهو يتأثر بمقدار النصوص الواردة فيه بالمدلولات الرمزية الغامضة المبهمة، فكلما كان هذا الغموض والإبهام فيه كان هذا الخطيب محنّكاً مع حفاظه على بلاغة الخطاب.

وتقوم هذه القراءة التحليلية للنص من خلال كشف مفاتيحه ومرتكزاته الدلالية، التي تنطوي على أسرار النص وتعيده نصاً جديداً قابلاً للقراءة والتأويل أيضاً، ويكون مختلفاً تماماً عن القراءة السابقة، وفي كل مرة نجد النص، جديداً متطوراً، متناسلاً إن صح التعبير. ولقد تمتع الخطاب الديني ولقرون خلت بالذيع والانتشار الذي أدى إلى السيطرة والهيمنة على الخطابات الأخرى، بوصفه الخطاب الإلهي – من حيث المصدر – فيتغيا لبوس الدين حتى يخرج من ثنائية الصدق والكذب، لكنه من جهة أخرى خطاب واع بذاته إلى حد كبير، يسعى جاهداً إلى تجنب التزييف.

وتنهض الدراسة للتعريف بالخطاب الديني والتأويل، والتأويل المضاد، وعصّدت التنظير بمادة تطبيقية لخطابات بعض الشخصيات الإشكالية في التاريخ العربي القديم والحديث، كعلي ومعاوية والحجاج ومحمد عبده ويوسف القرضاوي وابن لادن، وكيف أنّ كلاً منهم وظّف طاقات النص لتحقيق غاياته الإشهارية، والوصول إلى التأثير في المتلقي وتغيير قناعاته أو تعزيزها إن كانت تصب في الهدف المروم من الخطاب.